

دلائل الإعجاز

جئتَ به لتزيدَ معدّي في إخباركَ عَندهُ بالمجئهِ وهو أنْ تَجعلَ به هذه الهيئةَ في مجئهِ . ولم تجرِّدِ إثباتكَ للركوبِ ولم تباشِرْ به ابتداءً بل بدأتَ فأثبتَ المجئهِ ثم وصلتَ به الركوبَ . فالتبسَ به الإثباتُ على سبيلِ التَّسْبِيعِ لغيرهِ وبشرطِ أنْ يكونَ في صِلَاتِهِ . وأمّا في الخبرِ المطلقِ نحو " زيدٌ منطلقٌ وخرجَ عمرٌو " فإنَّك أثبتَ المعنى إثباتاً جرّدتَه له وجعلتَه يباشِرُهُ من غيرِ واسطةٍ ومن غيرِ أن تتسبَّبَ بغيرهِ إليه .

وإذْ قدْ عرَّفْتَ هذا فاعلمْ أنَّ كلَّ جملةٍ وقعتْ حالاً ثم امتنعتْ من الواوِ فذاك لأجلِ أنَّك عمدتَ إلى الفعلِ الواقعِ في صدرِها فضممتَه إلى الفعلِ الأولِ في إثباتٍ واحدٍ . وكلُّ جملةٍ جاءتْ حالاً ثم اقتضت الواوِ فذاك لأنك مستأنفٌ بها خبراً وغيرٌ قاصدٍ إلى أن تضمَّنها إلى الفعلِ الأوَّلِ في الإثباتِ .

تفسيرُ هذا أنك إذا قلتَ : جاءني زيدٌ يسرعُ . كانَ بمنزلة قولكَ : جاءني زيدٌ مسرعاً . في أنك تثبتُ مجئاً فيه إسراعٌ وتصلُ أحدَ المعنيين بالآخرِ وتجعلُ الكلامَ خبراً واحداً وتريدُ أن تقولَ : جاءني كذلك وجاءني بهذه الهيئة . وهكذا قولُهُ : (وقد علاوتُ قُتُودَ الرَّحْلِ يَسْفَعُ عُنِي ... يَوْمٌ قُدَّ يَدِيمَةَ الْجَوَازِ مَسْمُومٌ) .

كأنه قال : وقد علاوتُ قُتُودَ الرَّحْلِ بارزاً للشمسِ ضاحياً . وكذلك قولُهُ : (مَدَى أَرَى الصُّبْحَ قَدَ لَاحَتَ مَخَايِلُهُ ...) .

لأنه في معنى : متى أرى الصبحَ بادياً لائحاً بيدينا متجلِّياً وعلى هذا القياسُ أبداً . وإذا قلتَ : جاءني وغلأمُهُ يسعى بيديني يديه ورأيتُ زيداً وسيفُهُ على كتفه . كان المعنى على أنك بدأتَ فأثبتَ المجئهِ والرؤيةَ ثم استأنفتَ خبراً وابتدأتَ إثباتاً ثانياً لسعيِ الغلامِ بينَ يديه ولكونِ السيفِ على كتفيه . ولمّا كان المعنى على استئنافِ الإثباتِ احتيجَ إلى ما يربطُ الجملةَ الثانيةَ بالأولى فجاءَ بالواوِ كما جاءَ بها في قولكُ : زيدٌ منطلقٌ وعمرٌو ذاهبٌ والعلمُ حسنٌ والجهلُ قبيحٌ . وتسميتُنا لها " واو الحال " لا يُخرجُها عن أن تكونَ مُجتلِبةً لضمِّ جملةٍ إلى جملةٍ . ونظيرُها في هذا الفاءُ في جوابِ الشرطِ نحو : إن تأتيني فأنتَ مُكرِّمٌ